ضوابط الاعجاز النبوي
في ضوء العلم الحديث
-دراسة تطبيقية-

اعداد

أ.م.د مظفر شاكر محمود الحياني

المقدمة

بعد أن أطل الإسلام بضيائه الساطع ليبيد الظلام الذي كان سائدا على البسيطة وبدأت تعاليمه السمحاء تأخذ طريقها إلى نفوس المسلمين وغير المسلمين ولاسيما بعد الفتوحات الإسلامية التي قامت بها طلائع الإسلام لتحرير الشعوب والبلدان التي كانت رازخة تحت سقف الشرك المظلم ومتكفئة بين أسوار الجهل المطبق ، فسعى المسلمون بنور الإسلام إلى إبطال ذلك السقف وتركوا بصمات واضحة جلية في شتى الميادين التي تصل الإنسان بربه بصلة وثيقة مستمدين قوتهم وعزمهم من نور الله ومن خلال تعاليم الدين القيم الحنيف.

والعلم هو أحد تلك الميادين التي أهتم بها الإسلام اذ افرد له مكانة سامية وأهمية بالغة حيث جعل الله تبارك وتعالى أول آية أنزلت في كتابه الكريم إلى حضرة النبي ﷺ هي ﴿ أقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [1] مع أن النبي ﷺ ليس بقارئ لذا فهم جمهور العلماء من هذه الآية أن المراد بالقراءة والتعلم هي أمة النبي ﷺ فكأن الله تعالى يقول يا أيتها الأمم والجماعات حيثما عم فيكم الشرك بالله والمعاصي والجهل فلتكن أول خطوة علاجية تربوية هي العلم.

وقد أدرك علماؤنا رحمهم الله تعالى هذه المكانة السامية للعلم فشرعوا بتدوين علومهم وقسموها بحسب ما يقتضيه الشرع والعادة ، فأفردوا لكل علم استقلالية ومقومات خاصة يقوم عليها كما شرعوا بترجمة ونقل علوم وحضارات من احتكوا بهم نتيجة للفتوحات التي شملت معظم أرجاء المعمورة فنقحوا تلك العلوم وهذبوها بإطار الشرع وأبدعوا وابتكروا وأجادوا حتى أصبحت العلوم الإسلامية منهلا عذبا يرفد العالم بمختلف العلوم المفيدة والنافعة في وقت كانت أوروبا وأخواتها أسيرة للجهل والظلام[2].

---

[1] سورة العلق: ١.

[2] ينظر: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب لحكمت نجيب: ص ٢٤ ، والعلوم الطبيعية عند العرب للدكتور ياسين خليل : ص٤٣ ، وتراث الإسلام : ص٢٥٥ للجنة الجامعيين لنشر العلم.

ولقد حاول أعداء الإسلام أن يطمسوا هذه الحقيقة ويلقوا ضبابا كثيفا عليها فلذا أردنا أن نزيل شيئا من ذلك من خلال بحثنا الموسوم (ضوابط الإعجاز النبوي في ضوء العلم الحديث/دراسة تطبيقية) الذي بينا فيه مكانة السنة النبوية في ضوء العلم الحديث وأنها توافق كثيرا من معطيات ونتائج العلم الحديث حيث لا توجد حقيقة علمية واحدة تتعارض مع ما تضمنته السنة النبوية الصحيحة.

ومما هو معلوم أن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم لكونها صادرة عن رسول الله ﷺ المبلغ لأمر ربه لذا فهي واجب التطبيق والعمل بها كالقرآن سواء بسواء لأنها البيان النظري والتطبيقي العملي لأحكامه ، لذا أهتم المسلمون عبر حياتهم الطويلة التي قضوها في ظل هذا الدين الحنيف وحرصهم على نقلها وتدوينها والعناية بها ليحفظوا للأمة سنة رسول الله ﷺ نقية صافية كما نطق بها عليه الصلاة والسلام دون أي شائبة ، ونظرا لما تتمتع به السنة من مكانة سامية حاول أعداء الإسلام وأذنابهم من المبتدعة الطعن بها فتعددت بذلك أساليبهم واختلفت وسائلهم واتحدت مآربهم ، ومن تلك المحاولات تشكيكهم بالسنة النبوية ويدعون تعارضها مع العلم الحديث أو عدم مسايرته وهذا ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع لنبين للباحث عن الحقيقة الضوابط التي بها يتحقق الإعجاز النبوي في ضوء العلم الحديث دون غيرها كي لا ينسب أمر إلى النبي ﷺ وهو لم يقله من حيث جهة ثبوته عنه ﷺ أو عدم أرادته لهذه المادة العلمية من خلال تكلف بعض الباحثين من إدخالها ضمن السنة النبوية. وهذا لا يعني أننا ندعي أن السنة النبوية كتاب علمي يدور فحواه ضمن أطار العلوم الطبيعية الصرفة لأنها مصدر تشريعي تربوي وروحي وفكري وهداية مع ما حوته من أشارات ودلائل على أن ما قاله النبي ﷺ لا يمكن أن يكون من نفسه بل هو بعلم علام الغيوب.

فنسأله تعالى التوفيق والسداد فيما توخينا فيه هذا المذكور في بحثنا أنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

تعريف بالموضوع:

عرف الإعجاز النبوي: بأنه أمور خارقة للعادة أظهرها الله على يد نبينا محمد ﷺ مقرونة بالتحدي بحيث يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها[1].

وقد أردنا بيان الضوابط المعتبرة عن غيرها للتعرف والتوصل الى الإعجاز في السنة النبوية الشريفة بقدر ما يحتمله النص دون تكلف كي لا ندخل علم البشر الظني والوهمي في هذه النصوص الشريفة فيدخل التشكيك في فهمها ويتهم الدين بسببها بالخطأ وغيره مما يلحق به نقصا.

أسباب اختيار البحث:

تتلخص أسباب اختيار البحث بالنقاط الآتية:

١. لما كان الدين الإسلامي الحنيف خاتم الأديان السماوية أردنا أن نبين شيئا من وجوه إعجاز هذا الدين العظيم بذكر الضوابط المعتمدة في هذا البحث للتعرف على الإعجاز في السنة النبوية المطهرة – في ضوء العلم الحديث – باعتبارها المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم كي يزداد المرء الباحث عن الحق يقينا ومعرفة أن ما جاء به النبي ﷺ لا يمكن أن يصدر من بشر أبدا بل هو وحي من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢. بيان التلازم الوثيق بين وحي الله تعالى وحقائق الكون على مدار الزمان.

٣. بيان أن السنة النبوية هي وحي من الله تعالى ومصدر للتشريع بخلاف من يزعم أن السنة لا دور لها إلا بما جاء موافقا للقرآن الكريم ، ويظهر بطلان من رد بعض الأحاديث – لتصوره الخاطئ أنه يصعب فهمها وإدراكها واستبعدوا أن يكون النبي ﷺ قد قال مثلها[2] – فجاء العلم مؤيدا لصحة كثير مما تضمنته هذه الأحاديث النبوية.

٤. إظهار عظمة هذا الدين وشيء من معجزاته كي يهتدي من ضل عن الطريق ويتسلح من أراد الدعوة لهذا الدين.

---

[1] ينظر شرح المقاصد للتفتازاني ت ٧٩٣ تحقيق د.عبد الرحمن عميره: ١١/٥.

[2] انظر: على سبيل المثال محمود ابو ريه لما استشكله من احاديث ورده لبعضها في كتابه اضواء على السنة المحمدية من ١٨٣ – ٢٠٨ وغيرها.

خطة البحث:

لقد تضمن البحث مقدمة وستة فصول وخاتمة. وهي كالآتي:

مقدمة: وتشمل المواضيع الآتية:

تعريف بالموضوع – أسباب اختيار البحث – خطة البحث

الفصل الأول: معنى الإعجاز النبوي – في ضوء العلم الحديث – وكيفيته:

- المبحث الأول: الإعجاز النبوي لغة واصطلاحا.
- المبحث الثاني: كيفية الإعجاز النبوي.

الفصل الثاني: البحث العلمي ومصادره:

- المبحث الأول: بيان مصادر اليقين وعدمه في البحث العلمي.
- المبحث الثاني: بيان معنى النظرية العلمية والحقيقة العلمية والفرق بينهما.

الفصل الثالث: بيان ما يحتج به من الحديث النبوي:

- المبحث الأول: من حيث قبوله وعدمه.
- المبحث الثاني: من حيث النسبة للنبي ﷺ تصريحا أو حكما أو غيره.

الفصل الرابع: ضوابط شمول الألفاظ النبوية للحقيقة العلمية وعدمها:

- المبحث الأول: العام.
- المبحث الثاني: الخاص وأنواعه.

الفصل الخامس: كيفية تطوير وتوسيع مجال الإعجاز النبوي في العلم الحديث:

- المبحث الأول: دراسة وتدريس مظان الإعجاز النبوي.
- المبحث الثاني: دراسة وتدريس العلوم الطبيعية العصرية.

الفصل السادس: تطبيقات من الإعجاز النبوي في العلم الحديث:

- وفيه أمثله تطبيقية للإعجاز النبوي في ضوء العلم الحديث.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

الفصل الاول

معنى الإعجاز النبوي – في ضوء العلم الحديث – وكيفيته

المبحث الأول – معنى الإعجاز النبوي

يعرف الإعجاز النبوي بأعتباره علما وبأعتبار مركبا.

فباعتباره مركبا يعرف الإعجاز لغة[1]: بأنه أسم مأخوذ من عجز عن كذا إذا ضعف والهمزة من الفعل (اعجز) للإدخال أي انه قد دخل عليه العجز والضعف.

والنبوي:المنسوب الى النبي ﷺ والمراد به هنا سيدنا محمد ﷺ والنبي مأخوذ إما من النبأ بمعنى الخبر أو من النبو بمعنى الارتفاع[2].

وباعتباره علما يعرف: بأنه ما ظهر من النبي ﷺ -من غير القرآن- بحيث يعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله ويطابق العلم الحديث ويبين صدق ما جاء به ﷺ.

المبحث الثاني: كيفية الإعجاز النبوي

مما هو معلوم أن لكل كلمة معنيين: ١. معنى لغوي ٢.معنى صوري (هندسي). فمثلا عندما نقول (قلم) فما نفهمه من لغة الخطاب أنه آلة تستخدم للكتابة والمعنى الصوري هو الشكل الهندسي الخارجي للشيء.

وعندما يتحد الصوري بواسطة العلم الحديث مع مدلول المعنى اللغوي لكلام النبي ﷺ يتحقق الإعجاز النبوي. فمثلا: ورد في صحيح الإمام مسلم عن النبي ﷺ: ((أن الله لم يجعل لمسخ نسلا ولا عقبا))[3] المعنى اللغوي لهذا الحديث أن الله قد مسخ اليهود الى قردة ولكن هذا المسخ لا علاقة له بأصل تكوين القردة. وجاء العلم الحديث وبين أن الممسوخ لا نسل ولا عقب له حسب علم الجينات الحديث وسيأتي بيانه في الفصل السادس.

---

[1] ينظر: الصحاح للجوهري مادة (عجز).

[2] ينظر: المصدر نفسه مادة (نبأ).

[3] الحديث رواه مسلم في صحيحه : ٤/٢٠٥٠ ح٢٦٦٣ ، باب بيان ان الاجال والارزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر ، والامام الطبراني في المعجم الكبير ٢٣/٣٢٥.

الفصل الثاني

البحث العلمي ومصادره

المبحث الاول – بيان مصادر اليقين وعدمه في البحث العلمي

البحث العلمي هو عملية التفتيش عن أمر مجهول وفق ضوابط علمية معتمدة.

ولقد أنحصر مصطلح العلم[١] في العصور المتأخرة على العلوم الطبيعية والتجريبية لذا عرف بأنه: ((مجموعة الحقائق التي توصل إليها الانسان من طريق الحواس في مراحل تفكيره وتجاربه ومن وحي فطرته التي أودعها الله تعالى في أصل خلقته وثنايا جبلته))[٢].

ومما هو معلوم أن الحجة[٣] تنقسم الى نقلية وعقلية:

- فالنقلية عند الجمهور هي من الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.
- والعقلية تنقسم: إما الى يقينية أو غير يقينية.

- اليقينيات : وهي أما بدهيات (ضروريات) أو مكتسبة من البدهيات والضروري هو البدهي والنظري هو المكتسب من البدهي.

أ. البدهيات وهي ستة أنواع:

١. المتواترات: وهي معلومات نقلها جمع من الناس لا يتصور العقل عادة تواطؤهم على الكذب كهجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة وكعلمنا بأن موسكو عاصمة روسيا ولندن عاصمة إنكلترا.

---

[١] اما جمهور المتكلمين فقد عرفوا العلم بأنه صفة توجب تمييزا لمحلها لا يحتمل النقيض . ينظر شرح المواقف لعضد الدين الايجي: ٧٦/١. وعرفه الفلاسفة بأنه: عبارة عن حصول معنى في النفس لا يتطرق اليه أحتمال كذبه على وجه غير الوجه الذي حصل عليه. ينظر: المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين لسيف الدين الآمدي: ص٣٨٤.

[٢] ينظر: الدين والعلم لأبراهيم فؤاد عبد الباقي: ص٣.

[٣] وهي البرهان وهي التي يتوصل بها الى التصديق: ينظر: الرسالة الشمسية في علم المنطق ٤٣.

٢. المحسوسات: وهي القضايا التي يحكم بها العقل بواسطة الحس الظاهري كالشعور بحرارة النار وبرودة الثلج.

٣. الوجدانيات: وهي القضايا التي يحكم فيها العقل بواسطة الحس الباطني كالحكم بأن للإنسان ألما وحزنا وفرحا وجوعا وعطشا وغير ذلك مما يدرك بالحس الباطني.

٤. المجربات: وهي القضايا الثابتة ثبوتيا يقينيا عن طريق الخبرة والتجارب ، كالقضايا العلمية التكنولوجية او الطبية أو الكيمياوية او الفيزياوية او غير ذلك من الأمور الخاضعة للتجارب كما في قولنا أن جزيئة الماء H_2O مكون من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين. وهي لا تكون حجة على غير المجرب لأنها لا تفيد علما ضروريا –يقينيا– بالنسبة للغير.

٥. الحدسيات: وهي الأمور البدهية الثابتة الناتجة عن تكرار المشاهدات كالحكم بأن نور القمر مستفاد من ضياء الشمس.

٦. القضايا التي يحكم فيه العقل حكما يقينيا بمجرد تصور أطرافها دون الحاجة الى دليل خارجي كالحكم بأن الكل أكبر من الجزء وان الزاوية المنفرجة أكبر من الزاوية الحادة، وأن ما ينقسم من الأعداد الى متساويين زوجي و إلا ففردي[١].

ب. النظريات المكتسبة من البدهيات:

المعلومات اليقينية لدى الانسان لا تكون دائما من البدهيات بل منها تكتسب من أدلة تكون جميع مقدماتها من اليقينيات أما إذا كانت إحداها ظنية فأن النتيجة تكون ايضا ظنية لأنها تابعة لأخس المقدمات (أي: أدنى مرتبة). والدليل الذي تكون مقدماته كلها يقينية يسمى برهانا ، والبرهان أما لمي أو إني.

١. البرهان اللمي: هو الاستدلال بالسبب –المؤثر– كاستدلال الأطباء المختصين بالبكتريا والطفيليات الموجودة في دم المريض بعد اكتشافها بالتحليل في

[١] ينظر البرهان في المنطق للعلامة الكلنبوي تحقيق فرج الله زكي: ٨٦.

المختبرات على تشخيص نوع المرض المصاب به المريض صاحب الدم كما في الأمثلة التالية:

أ- الاستدلال بوجود طفيلي ليشمانيا دونوفاني (LEISSHMANIA DONOVANI) على إصابة صاحب الدم بالحمى السوداء (KALA-AZAR).

ب- وبوجود بكتريا بروسيلا (Brucilla) على الإصابة بحمى مالطا (Brcillasis).

ج- وبوجود بكتريا سالمونيلا تايفي (Salmonella) على حمى التايفوئيد (Typhoid Fever).

٣. البرهان الآني هو الاستدلال بوجود المسبَب (الأثر) على وجود السبب (المؤثر) كالاستدلال بآثار الجريمة وعن الطرق العلمية الحديثة على كشف الجريمة وتحديد شخص المجرم. ومن تطبيقاته في التحقيقات الجنائية استدلال اهل الخبرة والمختصين في الطب الشرعي و البحث الجنائي على ثبوت الجريمة، او تحديد الشخص المجرم بآثار البصمات او آثار الأسلحة النارية او آثار الحريق العمدي او آثار الأقدام او آثار الآلات والإطارات او آثار الأنسجة او الشعر او البقع الدموية او السائل المنوي او البول او اللعاب، ونحو ذلك.

(*) اما غير اليقينيات فست ايضا وهي:

١. المشهورات، وهي قضايا يحكم العقل بها لاعتراف الناس بها، لمصلحة عامة او رأفة او حمية او غيرها، كتباين المفاهيم في ان الظلم قبيح والعدل حسن وكشف العورة مذموم.

٢. المسلمات، وهي قضايا يحكم العقل بها لأنها مسلمة من قبل المجادل كالتسليم بقبول خبر ما انه صحيح وهو آحاد مع جواز وجود علة خفية له.

٣. المقبولات، وهي قضايا تؤخذ ممن يعتقد به لديانة او وفور عقل او خبرة.

٤. المظنونات، وهي قضايا يحكم بها العقل إتباعا للظن كقبول حديث الراوي الثقة من غير اختبار حديثه.

٥. المخيلات، وهي قضايا إذا أوردت على النفس أثرت فيها انشراحا او انقباضا ومنها محاولة تزيين الباطل وتقبيح الحق.

٦. الوهميات، وهي قضايا كاذبة يحكم بها الوهم في امور غير محسوسة، كالوهم بأن وراء العالم فضاء لا نهاية له[١].

المبحث الثاني- بيان معنى النظرية العلمية والحقيقة العلمية والفرق بينها

جدير بالذكر ان ادراكات الانسان اما تصورات او تصديقات، وان ما يدركه في مفرده (من المعاني او المحسوسات) او قضية (مسألة) يكون دائرا بين الوقوع واللاوقوع، فهو لا يخلو من إحدى الحالات الآتية:

١- ان تساويا (أي الوقوع واللاوقوع) عند العقل من غير رجحان احدهما على الاخر فالادراك المتعلق بكل منهما يسمى: (شكا).

٢- وان ترجح احدهما عند المدرك بنوع من الاذعان والقبول يسمى:(تصديقا).

٣- الاعتقاد ان لم يصل الى درجة الجزم يسمى: (ظنا)، والطرف المقابل له يسمى: (وهما).

٤- الاعتقاد الجازم ان لم يكن ثابتا بأن كان قابلا للزوال بتشكيك المشكك يسمى: (تقليدا)، والطرف المقابل له يسمى: (تخييلا او تخيلا).

٥- الاعتقاد الجازم الثابت ان لم يكن مطابقا للواقع يسمى: (جهلا مركبا).

٦- والاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع يسمى: (يقينا).

و(الوهم والشك والتخييل) من اقسام التصورات لذا لا يجوز الحكم بمقتضاها.

اما (اليقين، والظن، والتقليد، والجهل المركب) فمن اقسام التصديقات الا ان الحكم يكون بموجب اليقين ان وجد والا فبالظن الغالب، وما سوى ذلك خطأ محض وباطل.[٢]

---

[١] ينظر شرح الخبيصي على تهذيب المنطق للعلامة سعد الدين التفتازاني، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ١٦٤-١٦٥، اصول الفقه في نسيجه الجديد للاستاذ الدكتور مصطفى الزلمي:٢/٢٣٢-٢٣٤ ، والمنطق للشيخ العلامة عبد الكريم الدبان- رحمه الله- (مخطوط): ص٤٠-٤١

[٢] ينظر: اصول الفقه في نسيجه الجديد للاستاذ الدكتور مصطفى الزلمي:٢/٢٣٥-٢٣٦.

لذا فالنظرية العلمية قد تستند الى الظن او بعض الشك بل قد تستند الى خيال واسع كما في النظريات في اصل نشوء الكون ولا تصبح حقيقة علمية الا بعد ثبوتها ثبوتا جازما لا يمكن زواله بأي تشكيك لتيقنها وتوافر ادلتها القاطعة المشاهدة او المجربة مثل كون الأرض متحركة حول الشمس المتحركة او نحو ذلك.